مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: دور الإعلام في مكافحة الارهاب
اسم الكاتب: أ.د. هاشم حسن التميمي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/237
تاريخ الاسترداد: 2025/04/19 16:52 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

---

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

دور الإعلام في مكافحة الارهاب

أ.د. هاشم حسن التميمي(*)

المقدمة

كانت وسائل الاعلام- التقليدية والحديثة – وستبقى وسيلة مهمة لتدفق المعلومات والتعبير عن المشاعر ووصف الاحداث وتشكيل الرأي العام المحلي والدولي عن مختلف القضايا التي تهم الافراد والمجتمعات وفي مقدمتها قضايا العنف بمستوياته كافة ،والتطرف الديني والارهاب بكل مسمياته وستحاول هذه الدراسة ان تقدم اجابات عن اسئلة محددة تمثل الاطار النظري لدراسات مسحية ترصد النظريات التي ترسم الاطر النظرية التي تحدد ادوار وتاثير الخطاب الاعلامي في مكافحة الارهاب وتحلله سيميائيا من حيث النص وما يرافقه من اشارات ورموز غير لفظية ذات دلالات ومعان، ونوجز هذه الاسئلة بالاتي :

1 – ماهي اهم النظريات الاعلامية التي يمكن استخدامها في مكافحة الارهاب..؟

2 – ما هي الوسائل الاتصالية الاكثر فعالية في تجنيد الارهابيين .؟

3 – ما هي طبيعة الخطابات والشعارت الاكثر استمالة عاطفية وعقلية للمجندين ..؟

4- ماهي الابعاد الفكرية الواجب الانتباه اليها في خطابنا الموجه ضد العنف .؟

5 - كيف نجفف منابع الارهاب ...؟

6 – ما هي ابرز العوامل الدافعة والمحرضة على الارهاب ؟

منهج واجراءات الدراسة

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي والدراسة المسحية في رصد الظاهرة الارهابية ودور الاعلام في التصدي لها والحد منها، وقبل ذلك دور الاعلام في التحريض على العنف وتشكيل اتجاهات فكرية تتبنى الفكر المتطرف وتجند المتطوعين لمايسمونه جهادا وعمليات انتحارية، تستهدف الاجهزة الامنية والمدنيين، وتطور الامر لاحتلال الاراضي والسعي

(*)عميد كلية الاعلام/ جامعة بغداد

لتاسيس دولة الخلافة الاسلامية باسقاط دول وتمزيق شعوب بكاملها على اسس دينية طائفية من خلال تشابك وتقاطع المصالح الداخلية وتفاعلاتها الاقليمية والدولية في اطار اجندات لاعادة تقسيم المنطقة لدويلات هامشية متحاربة ومتصارعة. ومن هذه المنطلقات تكمن اهمية البحث في رصد الظاهرة ومحاولة الخروج ببعض النتائج الواقعية للتصدي لهذه الهجمة الارهابية التي تعد الاخطر والاعنف في تاريخنا البشري ، والاكثر اساءة لمبادىء الاسلام لما ترسمه من صورة نمطية دموية لاسلام الحضارة والانسانية توفر الغطاء والمبرر لغزوات دولية لاراضي العرب والمسلمين. فشلت الحروب الصليبية والمحاولات الصهيونية والماسونية الدولية من فعل ذلك عبر قرون عديدة وغزوات شرسة وهجمات اتبعت اقذر الاساليب في الترغيب والترهيب وتشويه الصورة.

عينة البحث

اختار الباحث عينة عشوائية من الرجال لقلة اعداد المعتقلات بلغت (200) ارهابي معتقل في السجون العراقية وفقا للمادة (4) ارهاب وهم من جنسيات عراقية وعربية واجنبية ونفذ العديد منهم عمليات مسلحة وتفجيرات ارهابية طالت القوات الامنية والمدنيين في مناطق مختلفة من العراق، وتمكن الباحث بعد التنسيق الخاص مع جهات امنية وقضائية متخصصة بملفات الارهاب من توزيع استبانة تتكون من عدد قليل من الاسئلة المغلقة تتطلب من المبحوث ان يذكر السبب الاساسي الاول او الدافع الرئيسي الذي دفعه للانخراط في العمل مع الجماعات، مع اختيار لوسيلة واحدة من بين خمس وسائل اعلامية الاكثر تاثيرا على تشكيل قناعاته لمعرفة حجم كل وسيلة في التاثير، وتم استبعاد فئة (الاخرى) لاهمية تسليط الضوء على الدافع الاول والوسيلة الاولى في التاثير لضمان عدم تشتت مركز اهتمام البحث.

نظريات التاثير الاعلامي

قبل الشروع بالاجابة على السؤال الاول وتحليل نتائج استبانة المبحوثين ، تتطلب قواعد البحث العلمي استعراض موجز لابرز النظريات الاعلامية لمعرفة مدى تطابق معطياتها مع الواقع الميداني حول قضية واضحة الابعاد والاتجاهات، وقد اخذنا بنظر الاعتبار التحولات والتغيرات الكبرى التي طرات على النظريات الاعلامية خلال قرن من الزمان، حيث

تبدلت الرؤى في ضوء التجارب القاسية التي عاشتها البشرية في حقبتي الحروب الكونية الدامية الاولى والثانية وماتلاهما من مخاوف الحرب الباردة التي كانت تنبش الرماد لتوقد النيران وذكريات الموت المرعب، يضاف لذلك الاحداث الساخنة والاجتياحات والحروب الكبرى مع نهاية وبداية القرن الجديد والقفزة النوعية في اشكال تكنلوجيا الاتصال التي احدثت انقلابا في فضاء الاتصالات وشبكات المعلوماتية والتواصل الاجتماعي، وصحيح من يدعي اليوم بعد كل تلك التجارب والاختبارات المتتالية لدور وسائل الاعلام في الازمات الدولية ان يعتقد بتلاشي نظرية الرصاصة السحرية التي ولدت مطلع القرن الماضي وكانت تروج للقدرات السحرية الخارقة لوسائل الاعلام في تشكيل المواقف وتغيير القناعات، ولكن الصحيح ايضا اضطلاع وسائل الاعلام المعاصرة بحكم التطور الهائل لتكنلوجيا الاتصالات وظهور وسائط التواصل الاجتماعي والاعلام التفاعلي بادوار مهمة وتاثيرات كبيرة في تكوين اتجاهات الافراد والجماعات والشعوب ازاء القضايا المصيرية مثار الجدل، ويستدل لحجم هذا الدور عن طريق نظريات ثلاث هي:

اولا: نظرية وضع الاجندة

يراهن اصحاب هذه النظرية التي مرت باطوار متعددة على قدرة وسائل الاعلام المختلفة في التواصل مع الجمهور وعلى تشكيل وتحديد اولويات الاهتمام بالقضايا (وترتيبها باجندة) عن طريق ماتنشره وتبثه من قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية.....الخ.

ثانيا : نظرية دورة الاهتمام بالقضايا

ويقترح بعض الباحثين بان(هذه النظرية تقسم دورة الاهتمام بكل قضية على خمس مراحل هي: مرحلة ماقبل القضية (المشكلة)، ومرحلة الاكتشاف التحذيري والحماس النشط تجاه وقوع هذه القضية ثم مرحلة استيعاب تكاليف احراز تقدم ملحوظ بشانها ورابعا مرحلة الهبوط التدريجي في الاهتمام العام بتلك القضية (المشكلة)، واخيرا مرحلة مابعد القضية ولاشك ان لكل قضية تفاعلاتها وتوقيتاتها وظروفها.

ثالثا: نظرية التاطير

تؤكد هذه النظرية على قدرة وسائل الاعلام على مساعدة الجمهور على تفسير الاحداث في ضوء ماتقدمه من محتوى اعلامي وتسليطها الضوء عليها عن طريق تغطياتها الاخبارية وتناولها للقضايا من جوانب وزوايا معينة ويتحدث الدكتور حسن عماد مكاوي عن مجموعة اخرى من النظريات الاساسية للتاثير الاعلامي وتفرعاتها المتعددة واهمها [1]:

1 – نظريات التأثير الانتقائي

2 –نظريات التاثير القوى

3 – نظريات التاثير المعتدل

4 – النظريات المفسرة للعنف في وسائل الاعلام

5 – دراسات تأثير وسائل الاعلام

واستكمالا لهذه النظريات العلمية الاعلامية وبالرغم من الجدل الكبير القائم حولها والتي يمكن التعامل معها عمليا ونحن نتصدى لقضية الارهاب وبالامكان الاعتماد على اكثر من نظرية في اطار ستراتيجية اعلامية واضحة الاهداف، يجب ان ترتكز على معطيات متعددة منها:

اولا: يجب ان نتوقف طويلا عند نبؤات الكاتب المعروف الفن توفلر والذي توصل في دراسته المهمة (تحول السلطة) لحقيقة مفادها ان مصادر السلطة هي القوة والثروة والمعرفة وقد تحول المسار للمعرفة وابرز عناصرها المعلوماتية في فضاء مفتوح في عصر العولمة يصعب التصدي اليه ومنعه، بل الصحيح التفاعل معه واحتواء مدياته بكل السبل وتقليص الفجوة الرقمية الاتصالية والمعرفية مع العالم.[2]

ثانيا: وتعد واحدة من اهم التحديات عدم الادراك الواعي لاهمية (التوازن) في ممارسة حرية التعبير بكل اشكالها وخاصة عن طريق وسائل الاعلام وهذا ما اتاحته المادة (19) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان واقرنته بالمادة (29) والتي تؤطر هذه الحرية بالمسؤولية الاجتماعية واحترام الخصوصية والانظمة والقوانين العامة والاخلاق والعادات والتقاليد ويجب ان تلتزم وسائل الاعلام والسلطات بهذه الموازنة التي احتوتها اغلب الدساتير العربية وتعمل لتاطير ذلك بقوانين لحق الحصول على المعلومات وحماية حرية التعبير بتشريعات منظمة وليس قامعة او مانعة للحريات بل مانحة ومساندة لشفافية ضامنة

لتدفق المعلومات وعدها حقا لكل مواطن وليس امتيازا خاصا للصحفيين. والملاحظ اختلال هذا التوازن مما يشكل مشكلات لاحصر لها في مجتمعاتنا العربية والاسلامية بل تعاني منه حتى الشعوب المتقدمة التي سبقتنا في انظمتها المانحة للحريات الاعلامية.

ثالثا: ان الاعلام بامكانه ان يحشد لقناعات معينة ولكننا يجب ان ندرك بانه لن يكون بديلا لمعطيات اقتصادية وسياسية وحقائق اخرى ملموسة، بل يجب ان يستند على الوقائع والحقائق، ولهذا فان الاعلام ينمو مع نمو القطاعات الاخرى ولايستطيع ان يحسن صورتها ويحولها من سيئة التوصيف الى حالة متطورة. ولهذا يعول على الاعلام ان يلعب دورا مهما في التنمية الشاملة المستدامة وعمليات التحول الديمقراطي خاصة في البلدان التي تشهد الان مرحلة انتقالية تعاني من القلق السياسي والفساد والارهاب.

رابعا: لاهمية الاعلام في مكافحة الارهاب فلابد ان تفرد له مكانة خاصة في التخطيط الستراتيجي وبرامج الامن القومي لكل الدول، والتشبيك مع منظمات دولية واقليمية للتنسيق والتحرك المشترك عبر نظام للحملات الدولية التثقيفية التي تستعين بابرز الخبرات لتوجه برامجها للاطفال والشباب والفئات العمرية الاخرى عبر كل وسائل الاعلام والتعليم ومصادر الثقافة من فنون تشكيلية وسينما ومسرح وموسيقى وفعاليات رسمية وشعبية.

تعريف الارهاب

لايوجد تعريف محدد للارهاب لكن المتفق عليه هو السلوك العدواني لاشخاص او منظمات اودول ويوجه ضد الاشخاص والجماعات والشعوب لغرض تغيير قناعاتها الفكرية والعقائدية باساليب العنف المؤدي للقتل والتعذيب ومختلف الانتهاكات الاخرى لحقوق الانسان باتباع وسائل التهديد والتخويف وعدم الاعتراف بالاخر.

وانطلاقا من هذا التعريف لابد من ادراك الخلفيات الفكرية والسياسية للارهاب ونحن نضع الاسس لخطاب اعلامي في اطار ستراتيجية شاملة ثقافية اعلامية تضمن الردع والوقاية من هذه الطاهرة ، وتعميق الارتباط الدولي بقواسم مشتركة لهذه الحرب لضمان السلم الاهلي لكل الدولي والسلم العالمي للمنظومة الدولية ،فيعتقد فيرن نيوفيلد ريديكوب في دراسته (من العنف الى التراحم) ان الصراع العميق الجذور له طابع بشري. (لقد تعلمنا من

القرن العشرين مفردات الابادة الجماعية والتطهير العرقي والامر بالاغتصاب–امر الجنود باغتصاب نساء من مجموعة عرقية ما–والابادة النووية. نتذكر صورا لمذابح ولاجئين يبحثون يائسين عن الامان في الجبال او مخيمات لاجئين في البلاد المجاورة . وعرضت تلفزيوناتنا مدنا قصفتها المدفعية ومقابر جماعية ومواكب تشييع – كلها من جراء الصراع العرقي. ومع بداية القرن الواحد والعشرين ، طبعت في اذهاننا حادثة 11 ايلول 2001 بوصفها تعبيرا عن صراع يحرك مشاعر الناس في صلب كياناتهم. وعلى اية حال فان الصراع العرقي الداخلي واعمال الارهاب هي ليست الا قمة جبل الثلج، فالصراع المبني على الهوية يعبر عن نفسه يوميا في الخلافات الزوجية ومنافسات الاقارب واللاانسانية المشتركة والحرب التكنلوجية في مستوى اقل وضوحا هنالك الصراعات العميقة الجذور التي نحملها في ذكرياتنا – ذكرياتنا التي لاتسمح لنا بتجنب شخصنة الافراد او الجماعات ونرغب في ان نشخصهم جميعا على الارض . ان توقنا الى كمالنا يجعلنا نتساءل لماذا تكون لدينا هذه المشاعر وما المطلوب منا فعله حيال ذلك..؟)[3].

وهكذا نجد انفسنا ونحن نبحث عن حلول جذرية عالمية مشتركة يكون للاعلام فيها دورا مميزا لاجتثاث الصراعات العرقية وماينتج عنها من تطرف لارهاب دولي عابر القارات نتفق مع رؤى ريديكوب فهو يرى ان (معاناة كل من الضحايا والعجز النسبي للمجتمع الدولي في التدخل يؤكد على نحو مؤثر الحاجة الملحة الى نظريات تقود الى ستراتيجيات للتدخل وتكون هذه التدخلات ذات اثار معاكسة اذا كانت تعزيزاتها ومنطلقاتها النظرية خاطئة فالترويج الخاطىء يحول الارهابيين الى ابطال تجذب بطولاتهم–ارهابهم– الاخرين وكذلك فان النجاح بتحويل تصرفاتهم لافعال شياطين فان ذلك سيوحد خصومهم في مواجهتهم للارهاب ولكي تنجح وسائلنا الثقافية والاعلامية والدبلوماسية في رسالتها الخارجدية فلابد من ان نجعل– لا لمنا له معنى ونحتاج من الاخرين ان يتفهموا ويؤيدوا تجاربنا وكي تحدث المصالحة نحتاج الى الدخول في عالم الاخرين ونفهم كيف يتعاملون معنا عبر جروحهم ونحتاج من الاخرين ان يصغوا ويتعرفوا على جراحنا كذلك يحتاج الطرف الثالث الذي يقود عملية المصالحة ان يتفهم ان ثمة رابطا ضمن عالمك المعني لكل من الطرفين يربط

افعالهم ومواقفهم...ان فهم الصراعات العميقة الجذور خطوة مهمة لمصالحة الاطراف ولاولئك الذين يلعبون دور المحايد[4].

ان هذه الحقائق تبدو ناصعة حين نلتقط اشارات اخبارية مثيرة للاهتمام تتحدث عن مئات وربما الالاف من الشباب والمراهقات من الذين يتركون خلف ظهورهم ترفهم في المدن الاوربية والامريكية ويتوجهون لسوريا والعراق للقتال لجانب داعش او جبهة النصرة بعد ان اغرتهم واغوتهم مشاهد الذبح والانتصارات السريعة على جيوش كبيرة مدججة باحدث الاسلحة مثلما حدث في الموصل ، والعكس صحيح حين اظهرت وسائل الاعلام وحشية داعش في ذبح الاسرى والرهائن وسبي النساء واغتصابهن وتخريب وتفجير المراقد المقدسة للاديان كافة فتحولت صورة الملائكة لشياطين يرجمها الجميع، وصار من السهل انتزاع حاضناتها عنها واستخدامها لقتالهم كما حدث في الرمادي وصلاح الدين وسيحدث في الموصل ايضا بعد ان تحولت الصورة الذهنية لصورة معكوسة عن الانطباع الاول.

ان هذه التطورات تؤكد حجم الصدمة التي تعيشها البشرية مع مطلع هذا القرن الجديد والتي تتطلب المراجعة واعادة النظر بكل السياسات وفي مقدمتها السياسات الاعلامية لكي نستطيع احتواء التطورات ومحاولة المساهمة في تشكيلها وعدم الركون لانتظار نتائجها الحتمية، وتؤكد ذلك مقدمة لدراسة اصدرها مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية عن الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين فهي تشير الى (ان هذا القرن شهد تحولات وتغيرات افرزت بيئات عمل امنية جديدة في مناطق شتى من العالم، ومادفع العديد من الدول الى اعادة بناء تصوراتها المستقبلية لامنها القومي، واصبح التكيف مع المتغيرات الحاصلة احد ابرز التحديات التي تواجه التخطيط الاستراتيجي. كما ان اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر 2001 قد اسهمت بدورها في بلورة ملامح عالم جديد حمل معه تحولات هائلة في الفكر الاستراتيجي، وبدل كل التوقعات والمفاهيم بشان حروب المستقبل، واسهم في تغيير نظريات وعقائد عسكرية وبالتالي، لم يعد السؤال الاكثر الحاحا لدى المخططين الاستراتيجيين يتمحور حول حجم الانفاق الدفاعي للدول ومدى ملاءمته لمواجهة التهديدات المحتملة، بل حول كيفية توجيه المخصصات المالية وتوزيعها بالشكل الذي يتماشى مع هذه التهديدات)[5].

وبالتاكيد فان مايخصص للاعلام والحرب الباردة ستكون له حصة غير قليلة لتغطية نفقات الحرب الاعلامية والتي تنفذ بالترابط مع حقول اخرى في اطار ستراتيجية شاملة وتكاملية الابعاد، ويرى هاري ار.يارغر (ان صياغة الاستراتيجية تجمع بين الفن والعلم، ومن زاوية كونها فنا يمكن تفسير صياغة الستراتيجية على انها ساحة للعبقريات النادرة، حيث يتوصل القادة الموهوبون بفعل حدسهم الى حلول عظيمة لقضايا معقدة بشان السياسة الخارجية والحرب. ولايمكن انكار دور العبقري الحقيقي، ولكن ليس هنالك سوى دول قليلة في البيئة الحالية التي تتسم بالدينامية تستطيع تحمل عواقب الانتظار الى حين وصول عبقري يعول عليه. ويمكن ان يطمئن العدد الاكبر من محترفي الامن القومي لحقيقة كون الاستراتيجية علما ايضا. وهذه الحقيقة توحي بان صياغة الاستراتيجية يمكن ان تراقب وتكتب عنها النظريات، ويمكن ان يتم تحسين مستوى تطبيقها من خلال الدراسة والخبرة.)[6] ويقول هاري (تنطوي البيئة الامنية في القرن الحادي والعشرين على فرص واعدة وتهديدات لمصالح الامن القومي للدول– القومية وبالفعل يقول البعض ان عصر الدولة القومية قد انتهى. ومن الواضح ان هذا الحكم سابق لاوانه ، لان الشعور القومي لايزال مصدرا للصراع والاستقرار معا في النظام العالمي الحالي. والامر الجلي هو ان الاستقرار المعتمد على وجود قطبين في النظام العالمي، والذي استمر بفضل توازن القوتين في زمن الحرب الباردة قد وصل الى النهاية، ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتي يسعى النظام العالمي الى ايجاد توازن جديد يضمن درجة مقبولة من الاستقرار.)[7] وفي ضوء هذه المعطيات والتطورات وفي اطار البحث عن ادوار لدول تجد نفسها بين المطرقة والسند لقوى التوازن الدولي يشير الخبير الاعلامي د.راسم محمد الجمال في دراسته الموسومة العلاقات العامة الدولية والاتصال بين الثقافات الى (ان تزايد الاهتمام بالعلاقات العامة ان البيئة الدولية بجوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية، تتسم بالصراع بشكل مضطرد. واذا كانت ثمة ما يطلق عليه النظام الدولي الجديد، فان ذلك النظام مبني على الصراع. وقليل من هذا الصراع هو الذي يمكن حله باستخدام القوة والضغوط. واصبح يتعين حل كل اشكال الصراع من خلال الاتصال والتفاوض والتفاهم. وعلى الرغم من انه يوجد الكثير من اشكال الاتصال التي يمكن استخدامها لحل الصراعات . فان العلاقات العامة الدولية المبنية على الاتصال عبر الثقافات في مقدورها التعامل مع الجماهير التي تنتمي

الى ثقافات مختلفة في مواقف الصراع.)[8]، وهنالك رؤى اخرى لابد من الانتباه اليها ونحن نضع خطط مكافحة الارهاب وهي تتناوله من زاوية السلوك العنيف لكل ابناء الجنس البشري ولعل ابرز من كتب في ذلك الكاتب الانكليزي المعروف كولن ولسن في كتابه سيكولوجية العنف فهو يرى ان (دوافع العنف تختلف من دولة الى اخرى، فالفرنسيون والايطاليون يقتلون لاسباب عاطفيةن والالمان يقتلون بدوافع سادية، والانكليز يقتلون بعد وضع خطة دقيقة ينفذونها بعناية فائقةن لضحية غالبا ماتكون شريك عمر او حبيب والامريكيون يقتلون لاسباب عادية وليدة اللحظة...) وبعد بحث مسحي طويل يتوصل كولن ولسن لنتيجة مفادها ان (العنف الفردي يعايش الكل يوميا ن في البيت وفي الشارع وفي العمل، ومارسه الجميع نساء ورجالا وشيوخا. يفعله الرضيع وهو يصرخ بحثا عن الغذاء وهو يعض ثدي امه، كالنمر وهو يطارد غزالا بريئا ثم ينقض عليه ويعمل فيه مخالبه، كالرجل وهو يقتل زميلا له او يعتدي على امراته، كالمراة تصرخ وتشتم، وهي تضرب راسها بالحائط بدلا من راس زوجها— توجه عدوانها نحو نفسها- كالمرضى النفسيين والعقليين الذين يعتدون على انفسهم بالانتحار، اوضد الاخرين قبل ان ينهوا حياتهم، او كشاب يسخر من فلاح عجوز في باص ويثير ضحكات الاخرين على انبهاره بالمدينة ....) [9].

ومما تقدم فان الستراتيجية الاعلامية ومها كانت النظرية المعتمدة في احداث التاثير لابد ان تدرك ومنذ البدء لضرورة معالجة قضية الارهاب في اطار ثقافة العنف ومسبباتها والتي عانت منها البشرية منذ النشاة الاولى للمستوطنات البشرية، بل منذ اللحظة الاولى التي قتل فيها قابيل هابيل، ومازال هذا المشهد يتكرر ويتسع ليشكل خطرا داهما وعارما يهدد الدول كافة ويعرقل مسيرتها واستقرارها ومستقبل اجيالها, ويقف الاعلام بوسائطه كافة بين محرض وشريك في صناعة الموت، او مدافع عن السلم الاهلي بمستويات في مجملها لايرقى للقدرة على ايقاف هذا الخطر الزاحف مثل الاعصار لارتباط هذه الظاهرة بمغذيات ثقافية وفتاوى دينية وجهادية وعمليات منظمة لغسيل الاموال والادمغة عبر شبكة دولية استطاعت ان تخترق اقوى الاجهزة المخابراتية الصارمة واخترقت المجتمعات بوسائل متعددة وعبر خلايا نائمة واخرى قائمة، وفي المقابل لاتوجد ارادة دولية واقليمية لوضع ستراتيجية شاملة لمكافحة الارهاب باساليب تتعدى الاجراءات الامنية للثقافة والفكر ومعالجة الفقر وازمة الحكم

والحريات العامة والتعليم بمراحله كافة، ويكون الاعلام رديفا ومساندا لهذه العمليات والتغيرات وليس بديلا عنها.

ويؤكد علي بن سعيد في دراسته (مكافحة الارهاب) المكرسة لعرض التجربة السعودية في هذا المجال لضرورة التعامل بمستويات متعددة لمكافحة الارهاب عن طريق ستراتيجية ثلاثية الابعاد وتتمثل بالوقاية ،والعلاج، والرعاية ، ويفترض ان تحول وسائل الاعلام هذه الستراتيجية لمفردات اعلامية ذكية الاهداف والوسائل والتوقيتات.[10]

وقبل الحديث عن امكانيات وضع ستراتيجية اعلامية او الية للتعاون في مكافحة الارهاب دوليا واقليميا لابد من العودة لمراجعة البعض من اهم النظريات التي تحدد العلاقة مابين الاعلام والارهاب، وهي تشكل لنا ارضية مقبولة لاثارة النقاش حول امكانيات التعاون لايجاد ستراتيجية للاعلام الدولي باختلاف اتجاهاته وسياساته فيما لو توافقت الارادات السياسية على ذلك وساندتها منظمات دولية وانطلاقا من المشتركات التي تجمعنا في هذه الحرب المقدسة ضد اشكال العنف كافة والارهاب خاصة. مع الاخذ بالاعتبار لخصوصيات كل بلد. وشمولية الادوار لقطاعات المجتمع خاصة مراكز البحث العلمي والاستطلاعات الجماهيرية المطالبة بتوفير قواعد معلومات ومسوحات شاملة وبيانات كاملة بادق التفاصيل عن العنف ودوافعه الشخصية والمجتمعية تتاح لوسائل الاعلام والتي تقوم بدورها باستطلاعات وتحقيقات استقصائية للكشف عن اعماق هذه الظاهرة كل في بيئته ومشتركاته الخارجية. وتحولها لمواد اعلامية جاذبة ومقنعة وبوسائط متعددة تتوجه لكل فئات المجتمع بحسب جنسه ومراحله العمرية عبر خطة اعداد رصينة تخضع لتغذية مرتدة بحسب المعطيات والمتغيرات الجديدة لظاهرة العنف والارهاب.

نظريات العنف والاعلام

تتحدث المصادر الاعلامية من فرضيات ونظريات عن دور وتاثير التغطيات الاعلامية لقضايا العنف والارهاب عبر وسائل الاعلام عامة والتلفزيون خاصة لامتلاكه خصائص مضافة لشد انتباه الجمهور فيرى البعض ان مشاهدة العنف وعرض اساليب الجريمة يحصن المشاهد ضدها، ولكن طريقة العرض بطريقة ما والتي قد تصور الارهابي على انه بطل او مجاهد من طراز خاص قد تخلق بيئة نفسية للتاثر به والاقتياد باعماله وتعلم فنون الجريمة.

وابرز هذه النظريات هي: نظرية التطهير او التصريف ،نظرية اثارة الحوافز العدوانية، نظرية التعليم بالملاحظة، نظرية التعزيز، ونظرية الرعاية.

ويعتقد م.دي. فلور في كتابه (نظريات الاعلام) بأنه قد تكون وسائل الاعلام عاملاً شرطياً في السلوك العنيف ، وتدور مناقشة العلاقة بين وسائل الاعلام والجريمة منذ سنوات طويلة ، فالإعلام وخاصة التلفزيون له تأثير قوي في مجال عريض من القيم والمعايير وأنماط تصرفات وأفعال الناس ، لدرجة أن هناك ثقافة معينة يشكلها الاعلام ، وربما نلاحظ أن بعض وسائل الاعلام تعيش على وصف العنف بدقة في أكثر إشكاله دموية أما للترفيه أو عن طريق نشرات الإخبار.

وإذا كانت وسائل الاعلام لها القدرة على أحداث تأثير سلبي في الأفراد بالإكثار من تعرضهم لاحتمالات العنف فلا بد ان يكون من الممكن عكس هذا التأثير باستعمال وسائل الاعلام لتعليم العامة وسائل الاستجابة المقبولة اجتماعيا لمواقف الصراع ، ولتحقيق هذا الهدف فإنه يتحتم ان تبادر الحكومات والمؤسسات الاجتماعية الى اقتراح توجيهات في مجال التعليم العام.

والواقع ان ثمة نوعاً خاصاً من العنف بحسب استنتاج فلور أصبحت له دلالة عالمية وعلى الصعيد الدولي . فبالرغم من انتشار العنف في تاريخ العالم فان الزيادة الحديثة في هذا النوع من العنف تستحدث الحاجة الى البحث والتحري واتخاذ أجراء دولي، وتتأكد هذه الحاجة نظراً للزيادة في تعرض المجتمع الصناعي واحتمال التعرض لخطر الأسلحة الجديدة المدمرة بما في ذلك احتمال السرقة الدولية للمواد الذرية والتعرض للابتزاز.(11)

وبالرغم من غياب الستراتيجيات العربية او التنسيق الاعلامي المشترك لمواجهة الارهاب لاختلاف السياسات الاتصالية وهي انعكاس للاختلافات السياسية للانظمة الحاكمة فان التهديدات الارهابية دفعت العديد من البلدان للتفكير الجدي لايجاد اليات اعلامية مشتركة لمكافحة الارهاب، ولهذه الاسباب والضرورات اتجهت الدراسات الاكاديمة لدراسة هذه المشكلة فنرى الباحث العربي عبد الرحيم علي يكرر تساؤلاته التي عرضها في مقدمة دراسته الموسومة–الاعلام العربي وقضايا الارهاب–فهو يعتقد ان الارهاب هو الهم الاكبر الذي يواجه العالمين العربي والاسلامي في المرحلة الراهنة واثار اهتمام الاعلام العربي

التقليدي والجديد، والسؤال الجوهري كما يقول (هو باي قدر وباي كيفية عالجت وسائل الاعلام العربية قضايا الارهاب....؟ وهل الاسلوب المتبع في ادانة الظاهرة الارهابية والكشف عن مثالبها ومخاطرها, عاطفي انشائي ام تقريري علمي...؟ ام انه موضوعي عقلي متوازن؟ ونعني بذلك رصد وتحليل الاطار المهني والفكري معا، والنظر الى خبايا وكوامن الخطاب الذي يتم تقديمه: هل تغلب عليه النزعة العاطفية في الادانة مما يؤدي الى انعكاس سلبي بالنسبة للمتلقي..؟ ام ان المحاولة التقريرية التي تتخذ طابعا علميا تعني تحقيق مساواة موضوعية بين الارهاب واعدائه، والى اي حد يمكن ان يكون الاعلام متوازنا في مواجهة القضية الخطيرة التي لاتتطلب حيادا متوازنا ..؟ وهل يعني اتخاذ موقف الحياد باسم المهنية مما يجعل البعض من الوسائل الاعلامية اقرب الى تحبيذ الارهاب والدفاع عنه او على الاقل تبريره والسعي الى تجميله؟)[12]

وتحاول العديد من الدراسات العربية والدولية ايجاد اجابات لهذه التساؤلات المشروعة والتي يمكن التوصل اليها عبر عمليات مسح ورصد منظم لمحتوى الاعلام العربي والدولي، فيرى رونالد كريلينستن في دراسته القيمة (مكافحة الارهاب) وتحت عنوان مكافحة الارهاب الاقناعية ان الخطوة الاولى لمكافحة الارهاب تتضمن (فهم الافكار التي تشكل اساس استخدام الارهاب في الحياة الاجتماعية والسياسية والتعامل معها، ولهذا المنحى جوانب ايديولوجية،وسياسية، واجتماعية،، ودينية، والارهابيون دوائر مناصرة تشمل الاتباع، والمتعاطفين، والمساندين النشطين او السلبيين، ويجب ان تتعامل مكافحة الارهاب مع هذه الجماهير الاوسع ، وهذه هي الدعاية او كسب(القلوب والعقول) في مكافحة الارهاب التي يجب ان تتكامل مع الانواع الاكثر قهرا من الاتصالات، والتي تتجسد في العدالة الجنائية ونماذج الحرب والستراتيجيات التي يجب تطبيقها لمكافحة الارهاب، ولعل ماورد في اكثر من موضع في القران الكريم حول مواجهة الكافرين والتوصية بضرورة الحوار والجدال والكلمة الطيبة والاعتماد على الحجة والبينة في رد افكارهم وتبطيل دعواهم.)(13)

ولكي تنجح خططنا الاعلامية في مكافحة الارهاب ينصحنا سيرجي قره – مورزا في دراسته (التلاعب بالوعي) الى ضرورة الانتباه (لنر الى اي البنى النفسية والذهنية في وعي الشخصية ولا وعيها، وكذلك الى اي لبنات من النوى الثقافية في المجتمع، يوجه المتلاعبون ضرباتهم في

المقام الاول لتحطيم الدفاع النفسي و(تحضير) الانسان للتلاعب، وما الذي ينبغي فعله لاخماد المعنى السليم..؟ ولا يقتصر التحضير للتلاعب على تهييم التصورات او الافكار فقط بل يكمن في خلق افكار ورغبات واهداف جديدة وبنائها. وهذه البناءات(الخدمية) مؤقتة ومهمتها الرئيسة هي احداث الخلط في الافكار وجعلها غير منطقية وخالية من الروابط، واجبار الانسان على الشك في الحقائق الحياتية الراسخة، مما يجعله ضعيفا امام التلاعب)[14].

ويمكن لنا ان نذهب بعيدا من هذه التاثيرات الذهنية التي تحدث عنها سيرجي , ونشير لخطورة الصورة النمطية التي حاول الارهاب ان يرسخها في ذهنية فئات واسعة تمثلت في ضرورة الجهاد لقتل الكفار والمرتدين، وصورة اخرى ارتسمت في عقول الغربيين تمثلت في الفوبيا من الاسلام واقرانه بالارهاب خاصة بعد هجمات الحادي عشر من سبتيمبر، وما تلتها من مشاهد عنفية في بلدان مختلفة اجتاحها الارهاب الدولي. وهذا الامر يضع امام الاعلام العربي والاسلامي مسؤولية تفكيك وتغيير هذه الصورة المنطبعة بجهود ثقافية واعلامية منظمة.

ولعل افضل من شخص لنا واقع الاعلام العربي عامة والفضائيات الاخبارية خاصة دراسة قيمة للدكتورة حياة الديك بعنوان – الفضائيات الاخبارية العربية بين عولمتين – تقول الباحثة بعد مسح شامل لمحتوى اهم الفضائيات (ثمة اخبار وموضوعات من شان اثارتها في دولة حديثة ان تؤدي الى المحاكم ، ذلك ان تناولها محرم قانونيا، خاصة تلك التي تقع في دائرة قوانين مكافحة العنصرية. غير اننا نراها تتدفق على شاشات الفضائيات العربية، فالمنطق العرقي او الاثني المحظور في الغرب يصبح هوية اصيلة ومادة لاكثر البرامج الحوارية عنفا. كانت الجزيرة اول من راح يثير قضية البربر في المغرب، وقبل حرب العراق بايام بثت برنامجا خاصا عن الكلدان في العراق في 1ابريل 2003، وبثت تصريحا عن انشاء حزب سياسي فرعوني في مصر: –نحن نرفض العروبة والاسلام. اين كان العرب عندما كنا نبني الاهرامات ..؟ نطالب بتعليم اللغة الهيروغليفية. على الولايات المتحدة ان تغير الانظمة في المنطقة– المسميات الاثنية تتكرر في كل البرامج،، والمشكلة ليست في طرح موضوع ما، بل في طريقة تناوله. خاصة وان هذه الموضوعات لم تجد حلها بعد في اطار المواطنة ، دولة القانون، دولة حقوق الانسان، ودولة الامة كاملة السيادة. لذا ، فان مناقشتها في اطار المبادىء

يساعد على التطور الاجتماعي والسياسي في هذا الاتجاه، والا فانها تكون مادة للتلاعب والاثارة وفي النهاية لتفتيت الدولة تفتيتا جغرافيا وديموغرافيا يخلق الرفض والحذر وحتى الكراهية بين المواطنين بذلك تلغى الـ((انا)) الحرة العاقلة لحساب عقلية جماهيرية قطعانية غرائزية، وتلغى الـ((نحن)) الوطنية لصالح ((نحن)) العرقية المدمرة .)(15)

ويتسأل رفيق نصر في كتابه دور الميديا في ادارة الازمات والحروب تسأولات مشروعة تمثل القلق الاعلامي بل الانساني ازاء ما يحدث في منطقتنا بل منطقنا العربي ازاء متغيرات ومجريات تجتاح المنطقة وكما العواصف العاتية والزلازل المدمرة (من يمسك بعصب العصر...هل هي القوة.....اما اعلام القوة....من هوصاحب السلطة...من يوهمنا بانه امتلك هذه المعادلة عبر السيطرة على الذاكرة وادارة الراهن ...؟ هل نحن امام سلطة جديدة صارت هي المكون للقناعات والصانع للقرارات والتحولات الجذرية..؟ سلطة هي اقرب الى السطوة التي تعيد تشكيل وصناعة الراي العام باتجاه رسم خرائط وتبرير حروب،وفرض معطيات. ماهي الوسائل القادرة على محوالذاكرة واعادة تشكيلها ..؟ كيف نستعد للحرب..كيف نبررها، وماذا تفعل الميديا قبل واثناء الحرب... وما بعد الحرب..؟)(16)

ولكي نجد مقاربات معينة مابين السياسة والاعلام تدعو الدكتورة حنان يوسف الى ضرورة رصد العلاقة الستراتيجية الارتباطية القوية مابين (مفهومي النظم السياسية والنظم الاعلامية المصاحبة لها ومعرفة الاعتمادية التاثيرية فيما بين المفهومين. ومن الضروري ان يرتكز اهتمام الباحثين وواضعي السياسة في الفترة الحالية على بحث التطورات السريعة التي طرأت على مقدرات الخريطة العالمية والتي من شأنها ان تؤثر سلبا او ايجابيا على طرفي هذه المعادلة ايضا مابين السياسة والاعلام) (17)

وترى الباحثة بانه وبعد الثورة الاتصالية والتكنلوجية التي شهدها القرن الجديد (مما عزز العلاقة الاعتمادية القوية مابين السياسة والاعلام داخل البلدان وخارجها، في عالم القطبية الاحادية التي تتشكل في عالم السياسة الدولية، وتصبح الاجندة العالمية برؤيتها وقراراتها السياسية ، بل والاخطر انها صارت اكثر التصاقا بمحاولات صنع الاجندة الداخلية ايضا للدول والشعوب التي تدنيها في منظومة القوى الدولية وخاصة منطقة الشرق الاوسط وزالمنطقة العربية . وهذا الامر من شانه ان يشجع باحثو الاتصال والاعلام السياسي في هذه

الدول الى تكثيف بحث هذه العلاقة الثنائية ودراسة مدى تاثيرها من حيث تقليل سلبياتها وتعظيم ايجابياتها لفهم اكبر على مستوى الداخل السياسي او ملامح الخريطة السياسية الخارجية.) (18)

ما تقدم هو مجرد ملاحظات وافكار وخلاصات لنتائج دراسات واوراق عمل تتضمن مؤشرات مهمة لاثارة النقاش حول قضية دولية هي الارهاب الذي اصبح دوليا وطرق كل الابواب وينذر بالتوسع والدمار الشامل، وتدعو الحاجة لوضع خارطة طريق لتنشيط دور الاعلام وتحويله من مرحلة الدفاع المنفرد الى الهجوم المنظم دوليا لحماية المجتمعات وقيمها وفي مقدمتها الاديان وضمان مستقبل زاهر للانسان في كل مكان. ويؤكد في هذا الصدد الباحث باتريك كوكبيرن في دراسته الموسومة (داعش عودة الجهاديين) على ان (انبعاث جماعات على طراز القاعدة ليس تهديدا محصورا بسوريا والعراق وجيرانها القريبين منهما. فما يحصل في هذه البلدان، بالاضافة الى الهيمنة المتزايدة للعقيدة الوهابية المتعصبة على وجه الخصوص داخل المجتمع السني العالمي، يعني ان 1،6 مليار مسلم اي ربع سكان الارض تقريبا سيتاثرون بشكل متزايد. بالاضافة الى ذلك ، يبدو من غير المحتمل ان لاتتاثر الشعوب غير المسلمة ..... وهناك تاثيرات بعيدة المدى على السياسة العالمية مع نتائج مخيفة ورهيبة علينا جميعا.....)(19)

الجانب التطبيقي

اظهرت لنا نتائج الاستبانة معطيات متعددة ومهمة سيتوقف الباحث عن البعض منها ويترك الاخرى لدواع امنية وحسب رغبة الجهات الامنية والقضائية ذات العلاقة لسلامة الاجراءات التحقيقية. وسنحاول تسليط الضوء من خلال تفسير ماورد بالجدول الاول.

جدول رقم (1) يمثل السلم الرتبي للدوافع الستة للارهابيين

ت	االاسباب	التكرارات	النسبة المئوية	المرتبة
1	الاستعداد العقائدي	55	%27.5	الاولى
2	المحيط الاجتماعي	38	%19	الثانية
3	الوضع الاقتصادي	33	%16.5	الثالثة
4	الشعور بالتهميش	27	%13.5	الرابعة
5	المستوى الثقافي	25	%12.5	الخامسة
6	التحريض الاعلامي	22	%11	السادسة
المجموع		200	%100	

اولا : الاستعداد العقائدي

يكشف الجدول ان الدافع الاول المحفز للعمل الارهابي الاستعداد والتكوين العقائدي للشخص وبلغت النسبة المئوية لهذا الدافع 27.5 % وتحتل المرتبة الاولى بين الاسباب الستة،. وتوكد الوقائع ان العامل الفكري المتطرف والثقافة المتشددة تمارس مايشبه غسيل الدماغ لهذه المجموعات والتي تمارس افعالها بسبق اصرار وترصد ، ويذكر الكاتب عبد الباري عطوان الذي زار معسكرات القاعدة والتقى بزعيمها اسامة بن لادن اكد وجود دائرة للتوجيه الروحي لكل المسلحين تمارس عملها حتى في ظل المعارك ويستخدمون احدث التقنيات لمتابعة الدروس العقائدية التكفيرية، فكل مقاتل يحمل معه كلاشنكوف وجهاز لابتوب. ويستمر التلقين لترسيخ عقيدة الجهاد انتحارا. وكشفت تحقيقات استقصائية في تونس ان الاهالي اكتشفوا صدفة ان اطفالهم في بعض رياض الاطفال يدربون ويؤهلون لاداء الخطب التكفيرية ويحرضون على قتل الاخرين والترغيب بالجهاد والانتحار وتصوير ذلك بمغامرات بطولية يستوجبها الايمان بالدين. وهنالك تحليلات اخرى فيعتقد الباحث نضال حمادة في دراسته خفايا واسرار داعش (في هذا الوضع المضطرب يمكن القول ان حرب الزرقاوي على الشيعة، كانت سياسة موضوعة من قبل انصار النظام السابق الذين ارادوا استنفار المتطرفين في العالم الاسلامي للمجيء والقتال معهم في العراق، وبطريقة غير مباشرة وغير مقصودة خدمت الخطة السياسة الاميركية التي رات في الصراع السني الشيعي في العراق تبريرا لوجودها في البلد).(20)

ثانيا : البيئة الاجتماعية

ويعد العامل او البيئة الاجتماعية العامل الثاني الاكثر اهمية في جذب واستمالة الارهابيين وبلغت نسبته المئوية 19% اتضح ذلك من خلال انتماء افراد العينة لبيئة سنية متشددة لها مناطق جغرافية معروفة، وتشير الدراسات لنجاح القاعدة في السنوات الاخيرة من تحويل خلاياها النائمة وحاضناتها السنية لخلايا جهادية انتقلت من المساندة للفعل الجهادي على الطريقة الداعشية, مع ملاحظة ضعف انتشار هذه التنظيمات في المناطق الشيعية داخل العراق او خارجه.

ثالثا : العامل الاقتصادي

ادى التدهور الاقتصادي وزيادة اعداد العاطلين عن العمل في العراق وانتشار العشوائيات والمناطق الفقيرة في البلدان العربية لانتعاش التطرف الديني واستغلال الجماعات التكفيرية لحاجات الناس المادية واستعدادهم الطبقي للانتقام من الطبقات الغنية ورموز السلطات الفاسدة لاستدراجهم للانتماء لتلك الحركات، تستخدم هذا الاسلوب ذاته مجموعات الجريمة المنظمة والعمليات المخابراتية الدولية القذرة. ويمثل هذا الدافع المرتبة الثالثة بلغت نسبته 16.5 %.

رابعا : الشعور بالتهميش

نتيجة لهيمنة الاحزاب والكيانات المشتركة بالعملية السياسية واستحواذها على اهم المناصب والمواقع الادارية ، والهيمنة على المؤسسات العسكرية والامنية والهيئات المستقلة، وحل العديد من الاجهزة وفي مقدمتها الجيش العراقي ، اسهم ذلك باذكاء روح الكراهية من العملية السياسية وادى هذا الشعور المتعاظم بالغضب لترويجات عن بدائل غير مؤهلى حلت بدائل عن مئات الالاف من المسرحين عن اعمالهم ومافقدوه من سلطة وامتيازات اسقطت وجهاتهم ومكانتهم في بيئاتهم القروية المتحفزة اصلا لاسباب طائفية عمقت الشعور بالتهميش وتوحول ذلك لثغرة استغلتها التنظيمات المتطرفة بالتعاون مع بقايا النظام السابق للعمل تحت واجهات اسلامية. وسجلت هذه الظاهرة المرتبة الرابعة من الاسباب ونسبة 13.5 %.. ويعتقد الدكتورمازن شندب في دراسته الموسومة – داعش : ماهيته ، نشاته . ارهابه اهدافه ، استراتيجيته – لدور العوامل التي سبق ذكرها في استقطاب المسلحين فهو يرى.(ان

التنظيمات وعلى راسها داعش، تتشكل من القيادة وهي القسم الاول ومن العناصر العسكرية وهي القسم الثاني . اما القضاء على القسم الاول فهو صعب ومحير ، لانه يرتبط اما بمشاريع اقليمية او دولية ، واما مرتبط بغريزة حب الامر والحكم والسلطة . اما القسم الثاني وهم المجاميع التي تعمل على تحقيق اهداف القسم الاول، فهي مجاميع مسكينة هي من افرازات المجتمع ، الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية زرعت فيها الياس والاحباط والانتقام فقررت قتل الانسان بداخلها والمشي وراء الشر والموت، هذه المجموعات قد لاتكون فاقهة لامر في الدين ،قد لاتكون متدينة اصلا ، هي مجاميع تائهة فقدت كل ادميتها، فوجدت ان هناك مكانا ما ، تحقق فيه امران : الاول الخلاص من الحياة بالموت ، والثاني الثأر لقضية ذاتية تختلف من شخص الى اخر.) ويؤكد هذه الحقيقة عبد الباري عطوان في كتابه الدولة الاسلامية عن الفروقات العقائدية وفي الاساليب مابين القاعدة وداعش ويقول (اراد تنظيم الدولة الاسلامية استغلال حالة الانهيار الذي تعيشه المنطقة، وضعف الحكومات المركزية،وتعاظم التدخلات العسكرية الغربية ،وغياب السيادة الوطنية ، وتعاظم الاستقطاب الطائفي ، واستفحال الغضب الشعبي نتيجة لسياسات التهميش والاقصاء، لاقامة دولة وفق مقاساته الايديولوجية....) (21)

خامسا : المستوى الثقافي

لاحظ الباحث ان هنالك امرا قد يبدو متناقضا للوهلة الاولى حين تشير الدراسات لتعرض الاشخاص الاقل ثقافة لتاثيرات الحركات المتطرفة وسهولة ايقاعهم في حملات غسيل الدماغ المنظم، ولكن التواصل في التاهيل الفكري والعسكري يرسخ ثقافة التطرف وضمان الانصياع التام لاوامر وتوجيهات القيادات العليا واشارت دراسة مسحية للعميد سعد معن ان هنالك خمسة اسباب لتقبل الافكار و الشائعات (الشك العام وفقدان وضعف الثقة بالقوات الامنية ، القلق الشخصي ، سذاجة المتلقي للمعلومات ، ومجموعة تاثرت بالاسباب مجتمعة) (22)، وتلعب الثقافة المذهبية والاجتماعية دورا مهما في رفض او قبول الانتماء للحركات الارهابية. وبنسبة 12.5 % مقارنة مع العوامل الاخرى. وتبين من مسحوات اجتماعية اخرى الى ان اغلب المتهمين بقضايا الارهاب فاشلين دراسيا، وفاشلين في الاندماج مع مجتمعاتهم الغربية وحتى المحلية قبل هجرتهم لبلدانهم الاصلية، ويعوزهم

الفهم الصحيح لمبادىء الاسلام. ولعل ردود الفعل من الثقافة الغربية كان عاملا مشجعا للثورة ضد تلك المجتمعات

سادسا : التحرض الاعلامي

ويتبين لنا محدودية دور الاعلام في انخراط الاشخاص للمجموعات الارهابية فتدنت نسبة هذا التاثير للمرتبة الاخيرة السادسة ونسبة لاتزيد على 11%، ولكن بعض الدراسات تشير لتزايد دور الاعلام خلال الازمات الحادة التي يعيشها المجتمع في التحريض على العنف ، فقداكدت نتائج استبانة عن التحريض الاعلامي على العنف لجمهور مدينة بغداد اجراها مركز الفيض العلمي بان (القناعة الواضحة بين اغلب الجمهور بان عدد غير قليل من وسائل الاعلام العراقية تسهم كثيرا في ترسيخ العنف والتحريض عليه لاسيما اثناء الازمات ومراحل الصراع المختلفة وفي مقدمة ذلك قنوات (الشرقبة ، الرافدين والبغدادية،) وابرز قنوات التحريض العربية الجزيرة والعربية. والاتفاق على ان الفضائيات العراقية تولد قدرا كبيرا من المشاعر السلبية واشاعة روح الاحباط والياس. وان قادة الكتل والاحزاب السياسية عبر تصريحاتهم هم الاكثر تسويقا للعنف)(23).

وترى شبكة المراة لمراقبة وسائل الاعلام بان قناة الجزيرة (اتجت في تحريضها على العنف والذي جاء بنسبة 83.5% وهي نسبة كبيرة من خطابها الاعلامي الى اعطاء صفة المقاومة على اعمال العنف واعتبرت ام المقاومة ذات تنظيم سياسي يحظى بتاييد شعبي . وكان شكل التحريض يتجه نحو تحميل الجهات الامنية شرطة وجيش مسؤولية اعمال العنف ووصفتها بقوات طائفية وتابعة للقوات الامريكية ووصفت اعمال العنف بالعمليات الانتحارية الجهادية ينفذها جهاديون,)، (24) ولعل محتوى هذا الخطاب قد يساعد في الترويج والانتماء للمنظمات الارهابية لاسيما عندما تظهر تلك المجموعات بصورة ابطال ومجاهدين تغري المراهقين لتقليد افعالهم. خاصة ايام الازمات حيث كشفت احدث دراسة مسحية ميدانية لعام 2014 للعميد سعد معن عن جمهور بغداد (ان نسبة كبيرة جدا من المبحوثين كان لديها استعداد لتقبل الشائعات بصورة مطلقة واحيانا بلغت 86% تقابلها 14% لم يكن لديهم استعداد لتقبل الاشاعات مما يعني ان الشائعات اخذت مداها عند نسبة كبيرة من المبحوثين ..). (25) وهذه النسبة لاتعني بان كل من تقبل الاشاعة لغياب المعلومات يمكن

ان ينخرط باعمال ارهابية. ولابد من الاشارة الى ن سبب انخفاض نسبة التاثير الاعلامي في التجنيد للارهابيين يعود لاستخدام وسائل اتصال بديلة وسنوضحها في تفسير معطيات نتائج الاستبانة الموضحة في الجدول الآتي.

جدول رقم (2) يمثل مرتبة الوسائل الاتصالية للجماعات الارهابية

ت	الوسيلة	التكرارات	%	المرتبة
1	الاتصال الشخصي المباشر	70	%35	الاولى
2	الفعاليات المجتمعية	58	%29	الثانية
3	وسائل التواصل الاجتماعي	42	%21	الثالثة
4	وسائل الاعلام	30	%15	الرابعة
المجموع		200	%100	

يبين جدول رقم (2) مدى استخدام وتاثير وسائل الاعلام في عناصر المجموعات الارهابية حسب نوع الوسيلة المستخدمة لترويج الفكر التكفير واظهرت النتائج المستويات والرتب التالية

اولا : الاتصال الشخصي

اكد 35% من المبحوثين تاثرهم المباشر بافكار التنظيم من خلال اللقاءات المباشرة في الجوامع والمساجد واماكن مرابطة بعض الدعاة والمرجوين ، وتمثل هذه الوسيلة المرتبة الاول في التاثير لما يتمتع به الاتصال الشخصي بحسب خبراء الاتصال الجماهيري من خصائص لاتمتلكها الوسائل الاخرى غير المباشرة لتوفر الحوار والتغذية الانية للرسائل والقدر العالي للتفاعل مابين المرسل والمتلقي ومرونة الرسالة وامكانية تعديلها الفوري في ضوء ردود الفعل الواضحة للمتلقي ، وهذه الوسيلة اكثر عاطفية وقدرة على الاقناع. واكدت ذلك اعترافات بعض المتطوعين من المملكة المتحدة ودول اوربية مختلفة عن تاثرهم بالفكر التكفيري من خلال تواجدهم المنتظم في المساجد وتلقيهم المباشر للخطب والمواعض والدروس الجهادية. .....ويبدو ان هذه الجماعات تستخدم اسلوب دمج الوسائل للمزيد من الترويج فهم يدركون خطورة التحريض المباشر للاتباع في المساجد ولتفعيل ذلك يحاولون نقل تلك الخطب عبر

وسائل التواصل الاجتماعي .وتشير دراسة ياتريك كوكبيرن الى انه (يمكن للخطباء الذين يدعون للكراهية تحريض اعداد كبيرة من الاتباع على مواقع يوتيوب فالشيخ محمد الزغبي وهو مدون ذو شعبية في مصر ، يدعو الله لحماية مصر من الخونة المجرمين والشيعة المجرمين، وكذلك من اليهود والصليبين.... ويبدون ان الخطاب موجه الى جمهور صغير من المتعصبين لكن عدد المشاهدين يبين انه يتمتع بشعبية هائلة ..) (26)

ثانيا : الفعاليات المجتمعية

وجاء ترتيب هذه الوسيلة المرتبة الثانية وبنسبة مئوية مقدارها 58 % ويقصد بذلك مجمل النشاطات العائلية والمناسبات الاجتماعية والوطنية والشعائرالدينية والتجمعات والمظاهرات والاحتجاجات والنشاطات المهنية والنقابية والتي تستغل للتعبئة التنظيمية، فقد اشار عدد كبير من المبحوثين بان المعتقلات الاميركية في بوكا والمطار والسجون العراقية كانت افضل مدارس لتجنيد الاشخاص للاعمال الارهابية وتعميق عقيدتهم وزيادة مهاراتهم العسكرية والثقافية الجهادية ، ويؤكد مثل هذه الحقيقة باري عطوان نقلا عن معتقلين في كوانتنمو ومعتقلات افغانستان وباكستان.

ثالثا : وسائل التواصل الاجتماعي

لعبت وسائل التواصل الاجتماعي والدردشات والحوارات وتبادل الصور والوثائق ولقطات الفديو عبر (الفيسبك بك ،وتيوتر ، سكايب ، فايبر ، تانكو ، واتساب ، وغيرها) دورا كبيرا في تاسيس شبكات كاملة للتعارف والترويج للدعوة الجهادية وكسب المتطوعين والمتبرعين من مختلف الجنسيات الاسلامية وربطهم بمراكز سرية وخفية للتنظيم وتوجيه حركتهم ونقلهم بعد تاهيلهم لميدان المعركة حول العالم، وبلغت نسبة الاعتماد على هذه الوسيلة 21 % وبالمرتبة الثالثة في استقطاب الجمهور والاتباع.. وتؤكد ماتوصلنا اليه دراسة حديثة اجراها باتريك كوكبيرن (داعش عودة المجاهدين) فيشير الى انه (عندما نعاين مثل هذه المنشورات الالكترونية فان ما يدهشنا ليس فقط مضمونها العنيف والطائفي وانما ايضا الطريقة التي نفذت بها . فالجهاديون، وان كانوا يحنون الى منابع الاسلام الاصلية، الا ان مهاراتهم في استعمال وسائل التواصل الحديثة والانترنيت متقدمة على معظم الحركات السياسية في العالم، وبانتاجها سجلا بصريا لكل شيء تقوم به ، فان داعش تضخم بذلك

تاثيرها السياسي. يهيمن مقاتلوها على وسائل التواصل الاجتماعي وينتجون افلاما مرعبة ومنجزة بشكل جيد جدا ليبينوا التزام مقاتليهم عندما يحددون اعداءهم ويقفتلونهم .) (27)
ويقول عبد الباري عطوان وهوالصحفي العربي الوحيد المقيم بالغرب، الذي حظي اضافة الى الكاتب البريطاني روبرت فيسك، بفرصة لقاء اسامة بن لادن ومحاورته، بناء على طلب الاخير في مخبئه في طورا بورا والتقاه لمرتين كما اخبرني بمقابلة شخصية في امستردام عام 2005 ان (المواقع الجهادية التي توفر ما يشكل فعليا امة الكترونية تسمح للشبان المسلمين المعزولين بالانضمام الى شبكة عالمية من الافراد الذين يشاركونهم في افكارهم وامزجتهم ويناضلون ضد من يعتبرونه عدوا مشتركا ، كما يمنحهم غاية واحدة موحدة. فمن السهل الاتصال محليا بشبكة الانترنيت لا بل يعتقد ان العديد من الخلايا التي تطبع النشاط الحالي للقاعدة يتشكل بهذه الطريقة.. ... فهنالك لوائح لنشرات توفر النصائح العملية لاولئك الذين يرغبون في الانضمام الى الجهاد الفعلي...) (28)

ويؤكد عطوان من خلال دراساته وعلاقاته مع هذه الجماعات في احدث دراسة له – الدولة الاسلامية : الجذور، التوحش، المستقبل ان(التقنيات الحديثة التي تستخدمها الدولة الاسلامية وكتائبها لاتقل اهمية عن الصواريخ والدبابات والعمليات الانتحارية والمتفجرات، بل تفوقها، لانها تحقق نجاحات كبيرة في الحرب الاهم وهي– حرب العقول – المستعرة هذه الايام.

ومن يتابع وسائط التواصل الاجتماعي، من يوتيوب وفيس بوك ، وتويتر ، يدرك جيدا معنى مانقول في هذا المضمار، فالجيش الالكتروني التابع للدولة بات يسيطر سيطرة شبه تامة على هذه الوسائط.... وهذا الجيش الالكتروني هو الذي لعب الدور الاول في حذف اسم داعش وفرض تسمية الدولة الاسلامية على معظم وسائل الاعلام العالمية والمحلية) (29)

رابعا : وسائل الاعلام

وتسجل وسائل الاعلام التقليدية بحسب المبحوثين الوسيلة الاقل تاثيرا قياسا بوسائل الاتصال المباشر او الاجتماعي وبلغت النسبة المئوية 11% والمرتبة الرابعة والاخيرة ، وهذا مؤشر لاختطاف وسائل الاتصال الحديث لجمهور الوسائل التقليدية ، وتبين لنا بان الصحافة الالكترونية لها تاثير اكبر من الصحافة المطبوعة مع تفوق واضح لدور الفضائيات

بالتحريض على العنف مع انخفاض لدور الراديو، والمهم في الامر بحسب نتائج دراسة للدكتورة ازهار صبيح الكعبي (ان أخطر دور تمارسه وسائل الاعلام نتيجة اعتماد العنف مادة اساسية في برامجها ومقالاتها ونشراتها الاخبارية هو جعل جمهور المتلقين يتعاطى مع العنف على انه حدث عادي . و بات العنف في العراق اداة تستعين بها اطراف مختلفة بمقادير ولغايات متباينة ، تعددت اشكاله الى :- عنف اجتماعي صرف ، وعنف اجتماعي سياسي ، وعنف سياسي داخلي ، وعنف عابر للحدود .) (30)

واتسمت المعالجات الاعلامية لاحداث العنف استنادا لذات الدراسة السابقة(بالمبالغة والانتقائية والتشويه والتجريبية ، فضلا على اعتمادها القوالب التجريدية الجاهزة وتراجع مستوى المسؤولية الاخلاقية والمهنية فيها . تعمد اغلب الصحف العربية الى تقديم احداث العنف التي يشهدها العراق، على نحو تبدو فيه وكأنها (الصحف) احد المسهمين في تلك العمليات، وذلك عبر ترويجها الدائم والداعم لها) (31) وينقل لنا الباحث باتريك قول وليد بن محمد المصمودي التونسي اكبر ثالث مورد للجهاديين الاجانب الى سوريا (ان قناة العربية كان لها دور كبير في اتخاذه قرار المجيء الى العراق للانخراط في القتال)(32).

ونجحت داعش في اقامة شبكة للاعلام الخارجي تخاطب الغرب فهناك كما يقول عطوان (عدة اذرع اعلامية ضاربة للدولة الاسلامية تشكل العمود الغفري لجيشها الالكتروني وكتائب التوحش الاعلامية التي تعتبر المظلة التي ينضوي تحتها كل هذه الانشطة الاعلامية ، ويمكن حصرها في - مركز الحياة الاعلامي - الذراع المتخصص في مخاطبة الغرب بلغات متعددة، مركز الفاروق، مركز الفرقان ، مركز اليقين ، ومركز الاعتصام وجميع هذه المراكز تنتج اشرطة وافلام وثائقية، وتصدر رسائل اخبارية، وتبث اخبارا وصورا على الانترنيت ، وانستغرام ، وتويتر ، ويوتيوب ،وفيس بك ،وتدير محطات راديو...)(33)

النتائج والتوصيات

توصل الباحث للعديد من النتائج والتوصيات يمكن ايجازها بالنقاط المحددة التالية :

اولا : اظهرت نتائج الاستبانة اهمية الاتصال الشخصي المباشر في تجنيد المسلحين وكانت له المرتبة الاولى في عمل قيادات الجماعات التكفيرية واختيارها لشخصيات مؤثرة في مخاطبة الجمهور.

ثانيا : احتلت شبكات التواصل الاجتماعي المرتبة الثانية في التاثير في استمالة المتطوعين وجمعهم في اطار شبكة دولية رخيصة الثمن ، متوفرة وسهلة الاستعمال. محليا ودوليا.

ثالثا : الاستخدام المزدوج لوسائل الاتصال في تجنيد الاتباع وارسال الخطابات المؤثرة للجمهور من خلال تسويق الخطب والمحاضرات المباشرة وتعميمها عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتسريب البعض منها لوسائل الاعلام التقليدية.

رابعا: ضعف دور الاعلام التقليدي خاصة الصحف، مع اهمية نسبية لدور القنوات الفضائيات في التحريض على العنف وفي مقدمتها العربية والجزيرة والبعض من القنوات العراقية.

خامسا: تلقت العناصر المنتمية للتنظيمات الارهابية خطابات دعائية وعمليات غسيل دماغ باستخدام الاتصال المباشر وعبر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الاعلام التقليدية.

سادسا: وظفت في الخطابات الدعائية المعلومات التي تحاكي الخلفيات الثقافية والمذهبية للمتلقين واستثمارر شعورهم بالتهميش والحرمان الطبقي والغضب لتنمية روح الكراهية والانتقام.

سابعا: تفرد وسائل دعاية التطرف بجمهورها لغياب وضعف الاعلام المعتدل الرسمي او الاهلي وعدم قدرته على مجارات تكنلوجيا الاتصال الحديثة وفشل خطابه في التاثير على الجمهور وتحصينهم وابعادهم عن شبكات التجنيد الاخطبوطية.

ثامنا : اصبح الارهاب ظاهرة عالمية عابرة للحدود وتحولت من منظمات لدولة لها موارد ضخمة وتمتد على جغرافية واسعة وتنذر بالتصاعد نتيجة للفساد وضعف الحكومات وتدهور الاوضاع الاقتصادية وتداخلات اقليمية ودولية لتنفيذ اجندات سياسية واعادة توزيع مناطق النفوذ في العالم. واستثمارها الفعال لوسائل التواصل الاجتماعي في التنظيم والتاهيل والتاثير في المجتمعات.

ثامنا، صعوبة تحويل اتجاهات وافكار الخط القيادي الاول، مع امكانية عزل الخطوط المسلحة عن قياداتها من خلال حملات اعلامية اقناعية ترافقها وتتزامن معها فعاليات للمصالحة السياسية والاصلاح الاقتصادية، مع اهمية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والاتصالات المباشرة ومن خلال الخطابات الدينية المعتدلة واشاعة ثقافة التعددية والتسامح واحترام الاخر

تاسعا: اهمية استخدام وسائل الاتصال عبر الفعاليات الجماهيرية وتفعيل دور الفنون الجميلة في نشر وتعزيز ثقافة السلم الاهلي ونبذ الكراهية والعنف والحث على الحوار والتعايش المشترك بين كل المكونات.

التوصيات

ويمكن لنا ان نوصي بتطبيق بعض المقترحات والتوصيات لتساعدنا في حربنا الشاملة لتجفيف منابع ومصادرالعنف والارهاب عن طريق التعاون الدولي والاقليمي بين وسائل الاعلام الرسمية وغير الرسمية وبمختلف وسائلها التقليدية والالكترونية.

اولا : اعتماد الاعلام التفاعلي ووسائل التواصل الاجتماعي وعدها احد المصادر المهمة في ستراتيجيات وسياسات الدول للامن الوطني لتكون رديفا اساسيا لاتقل اهميته عن الاركان الاخرى وربما يتقدم على البعض منها. ويقال الشيء نفسه للمنظمات الدولية والاقليمية وفي مقدمتهما منظمتي اليونسكو والمنظمات الاخرى التابعة للامم المتحدة او الاقليمية والوطنية.لتعزيز ثقافة الحوار المقنع والتفاهم المشترك وثقافة السلام والتسامح بين كل المكونات والشعوب.

ثانيا: لاختلافات سياسات الدول والانظمة وصعوبة تبني ستراتيجية اعلامية موحدة، فيمكن السعى الجاد لبلورة افكار عن مواثيق شرف موحدة تناقشه وتقره وتعتمده وسائل الاعلام العربية وربما الدولية في مجال مكافحة الارهاب وعده مسؤولية انسانية ومهنية لها الاولويات في محتوى الاعلام الدولي خاصة الفضائي.

ثالثا: ضرورة التعاون والتنسيق غير التقليدي والتفكير الجاد في تبادل الافكار والاخبار والبرامج بل والقيام بانتاج مشترك لتعميق الثقافة المضادة للعنف .

رابعا: بالنظر لحجم التشويه الذي تعرض له الاسلام في الغرب وبلدان متعددة خاصة بعد احداث 11 سبتمبر واستغلالها من ماكنة الدعاية الصهيونية والمنظمات المعادية للاسلام ونجحت في خلق صورة نمطية معادية للاسلام المقرون بالارهاب، فلابد من تفكيك هذه الصورة واعادة تشكيلها بما يؤدي للتفاهم المشترك والحوار بين الشعوب والديانات الاساسية في العالم.

خامسا: السعي الحقيقي لبلورة تشريعات مهمة في مجال حرية التعبير وحق الوصول للمعلومات تعتمد على مبدأ التوازن الذي اقرته وثيقة حقوق الانسان عام (48) والمتضمن حق حرية التعبير (19) المقرونة بالمسؤوليات المجتمعية (29) محليا ودوليا.لضمان امن المعلومات مع عدم المساس بجوهر الحريات.

سادسا: الحث على القيام بدراسات وبحوث دورية عن طريق مراكز الابحاث العلمية والجامعات لتقييم الاداء الاعلامي واجراء رصد منتظم لابرز الخروقات في مجال مكافحة الارهاب، ولعل تاسيس مرصد دولي للقيام بهذه المهمة يعد خطوة بالاتجاه الصحيح.

سابعا:اهمية الدبلوماسية الشعبية الناعمة في التحرك ضمن ستراتيجية ذكية ومدروسة في مختلف البيئات والمجتمعات عامة والتي تقع تحت تاثيرات الخطاب الديني التحريضي خاصة وفي مقدمتها بلدان المغرب العربي والدول الاسلامية غير العربية والجاليات المسلمة في البلدان الغربية حيث تلقن وتحقن بافكار منحرفة تقود للتطرف والانتحار.

ثامنا : اخضاع المعتقلين والمتهمين بقضايا ارهاب لبرامج اصلاح نفسي وثقافي وفكري واعادة تاهيلهم مجتمعيا ، مع الانتباه لخطورة ان تتحول السجون لاكاديميات لتدريب الارهابيين وتاسيس شبكات ارهابية جديدة.

تاسعا: ان الاساليب الاكثر تاثيرا في محاربة داعش يجب ان تعتمد على التحركات الشعبية اكثر من اعتمادها على الاجهزة الحكومية، فانتشار شبكات معتدلة الخطاب على شبكات التواصل الاجتماعي من خلال مجموعات ومراكز بامكانها ان تخلق شبكات بديلة عن الشبكات الداعشية وتقلل من تاثيراتها وتفردها في ارسال الخطابات المتعددة الاشكال.

المصادر

1- د.حسن عماد مكاوي ,ليلى حسين السيد, الاتصال ونظرياته المعاصرة ,القاهرة, الدار المصرية اللبنانية, ط5, 2004

2- آلفن توفلر, تحول السلطة بين العنف والثروة والمعرفة ,ليبيات مكتب طرابلس 1996.
3 و4/ فيرن نيوفلد ريديكوب, من العنف الى التراحم.
5- مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية , الحروب المستقبلية في القرن الحادي والعشرين ابو ظبي 2014
6و7/ هاري أر.بارغر
8- راسم محمد جمال . العلاقات العامة الدولية والاتصال بين الثقافات , القاهرة .2009
9- كولن ولسن , سيكلوجية العنف اصول الدافع الاجرامي البشري , عمان .2006
10- علي بن سعيد , مكافحة الارهاب
11- م.دي. فنور , نظريات الاعلام .
12- عبد الرحيم علي , الاعلام العربي وقضبان الارهاب . القاهرة ,مركز المحروسة للنشر .2006
13- رونالد كريلينستن , مكافحة الارهاب .
14- سيرج يقره- مورزا , التلاعب بالوعي .
15- حياة الديك. االفضائيات الاخبارية العربية بين عولمتين .
16- رفيق نصر الله , دور الميديا في ادارة الازمات والحروب .
17و18/ د.حنان يوسف ,الاعلام والسياسة مقاربة ارتباكيه . القاهرة , اطلس للنشر 2006 .
19- باتريك كوكبيرن , داعش عودة الجهاديين لندن . دار الساقي . 2015
20- نضال حمادة , خفايا واسرار داعش بيروت , بيسان للنشر .2015
21- د.مازن شندب , داعش , ماهيته, نشأته, ارهابه , اهدافه, إستراتيجيته.
22- د.سعد معن الموسوي , ادوات القتال النفسي , بغداد , مركز اضواء .2014
23- مركز الفيض العلمي . نتائج استبانة التحريض الاعلامي على العنف . بغداد 2012 .
24- مركز المرأة لمراقبة وسائل الاعلام , موقف وسائل الاعلام تجاه ظاهرة العنف , بغداد .2009
25- د.سعد معن , مصدر سابق.
26 و27/باتريك كوكبيرن , مصدر سابق
28- عبد الباري عطوان القاعدة التنظيم السري ,لندن دار الساقي ط3 .2012
29و30/ عبد الباري عطوان , الدولة الاسلامية ,الجذور , التوحش , المستقبل , لندن دار الساقي .2015
31- د. أزهار صبيح الكعبي ,العنف في الصحافة العربية الدولية , عمان دار الساحة 2012 .
32- باتريك ,مصدر سابق .